الثورة الاحد 19ذو الحجة 1433 هـ - 4 نوفمبر 2012م العدد (17518)

قراءة تحليلية لمشهد

الانتخابات الرئاسية الأمريكية

«الجمهوري» و«الديمقراطي» سجل حافل بالمفارقات والغاية واحدة

■ «.. يبقى الترقب سيد الموقف، حيث تتجه أنظار العالم بالظرف الراهن نحو متابعة الجولة النهائية المقررة يوم الثلاثاء في السادس من شهر نوفمبر الجاري، وذلك لمارثون السباق الرئاسي المعتاد بالانتخابات الرئاسية الأمريكية لكل أربع سنوات شمسية دائما يحدث ذلك المارثون الذي يتابعه العالم، أكان ذلك داخل أمريكا أو خارجها أشبه بلعبة السيرك، حيث دائما، ما يكون الفائز بتلك الانتخابات الحزب الجمهوري الديمقراطي، وكلاهما كان إلى فترة قريبة لا يزال حتى اللحظة الراهنة حزباً واحداً، حيث ترجع أصول الحزب الشمولي الواحد إلى ما كان يسمى بالحزب الجمهوري الديمقراطي، الذي تأسس عام ١٧٩٢م على يد توماس جيفرسون، وذلك كحزب واحد تفرع في ما بعد إلى مسميين تابعين هما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي، مثل بطرس الناسك والناسك بطرس، فكلاهما شكلاً ومضموناً مسمى لحزب شمولي واحد نشأ بعد الحرب الأهلية الأمريكية بجهود وإمكانيات الرأسمالية اليهودية بشقيها التوراتي والمسيحي المحرف، مما أظهر ذلك الحزب الموحد فكراً وسلوكا يتبادل الأدوار ضمن يسار اللوبي الصهيوني ويمينه، لذلك لا فرق بين الجمهوريين والديمقراطيين لأنهما هامش ومركز ذلك اللوبي.

إسكندر المريسي

وإذا كانت الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة، بحسب ما هو مقرر لها، لاختيار الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة، يسودها نوع من المنافسة المغلفة بثنائية ذلك الحزب الواحد، لكن تلك الانتخابات تضع بالتأكيد جملة من الاستفسارات الموضوعية حول أكتشاف الولايات المتحدة ونشأتها التاريخية والعوامل الذاتية والموضوعية التي كونت تجربتها السياسية وكذلك طبيعة نشأة الديمقراطية باعتبارها النموذج المتحضر الذي يصدر تلك الديمقراطية إلى معظم بلدان العالم، فضلاً عن نشأة الظاهرة الإسرائيلية في أمريكا قبل انتقالها على شكل الدولة المعلنة داخل فلسطين المحتلة بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨م، خاصةً والموعد المقرر للانتخابات الرئاسية الأمريكية يتزامن من الناحية التاريخية مع إعلان وعد بلفور بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧م من قبل بريطانيا بأن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود، وهو وعد من لا يملك لمن لا يستحق، وما يؤكد حقيقة تلك النشأة بالتاريخ الأمريكي لإسرائيل طبيعة التحديد الزمني المسبق من قبل اللوبي الصهيوني بأن تكون تلك المناسبة الخاصة بإعلان وعد بلفور تاريخاً مجيداً لإجراء الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وهو ما يعني أن اليهود ليسوا متحكمين بتلك الانتخابات فحسب، ولكنهم من خلال اللوبي الصهيوني هم الذين يحكمون أمريكا وينفردون بإدارتها السياسية والاقتصادية.

وفي أحد مؤتمرات الحزب الجمهوري الديمقراطي صوت الأعضاء بأن تكون القدس عاصمة للدولة اليهودية، إضافةً إلى القانون الذي أصدره أوباما بشأن حماية أمن إسرائيل،و بالتالي لا فرق بين أن يذهب أوباما أو يبقى لولاية رئاسية ثانية أو يفوز منافسه رومني، فكلاهما على نفس الشاكلة، بدليل سبق لأوباما في إحدى حملاته الانتخابية أن قال : سنفعل ما بوسعنا لحماية أمن إسرائيل، برغم أنه لم يزرها لا أثناء الانتخابات الرئاسية السابقة ولا في الحملات الانتخابية الجارية، خلافاً لمنافسه رومني المقتنع من تلقاء نفسه بأن غرفة الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تل أبيب وليست في واشنطن، وفي ذلك ما يؤكد حقيقة ارتباط الإدارة الأمريكية بإسرائيل، وهو ليس ارتباطاً قائماً على تحالف استراتيجي أو مرحلي، ولكن في سياق العلاقة الجدلية بين المقدمة والنتيجة.

وقد سبق لعالم اللسانيات ناعومي تشومسكي، وهو يهودي من أصول أمريكية، أن قال بأن أمريكا محتلة من قبل اللوبي الصهيوني، ومع ذلك يصدق العالم أن فيها ديمقراطية وانتخابات نزيهة لا يديرها ولا يوجهها ذلك اللوبي الصهيوني وفقاً لمصالحه يحفظ أمن واستقرار إسرائيل وإبقاء الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، قائلاً بأن الديمقراطية الأمريكية مكيال واحد يخدم الصهيونية العالمية، ويشير ذلك العالم في كتابه عن حفريات السياسة والإعلام والمخابرات، إلى أن المخدوعين بتلك الديمقراطية يعيشون وهم الحقيقة نتيجة البريق الذي أوجدته الطفرة الصناعية عبر مراحل التراكم الرأسمالي للامبريالية والهيمنة على مقدرات دول وشعوب العالم.

وعندما سُئل رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق إسحاق رابين أيهما يفضل الجمهوريين أم الديمقراطيين قال بأنه يتحدث بلغة الديمقراطيين وخلال الأيام الماضية تناقلت وسائل الإعلام الدولي عن رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو قوله: أنا أتحدث بلغة الجمهوريين، وبرغم المسافة الزمنية بين القولين فإن اللغة العبرية هي أداة التحكم الحقيقي في السياسة الداخلية والخارجية إزاء كيان موحد مركزه تل أبيب وفرعه، واشنطن، وما يؤكد حقيقة ذلك حاضراً تقوية المركز بالفرع بدليل أن الرئيس الأمريكي القادم سيؤدي اليمين الدستوري قبل يوم من إجراء الانتخابات البرلمانية في إسرائيل، ولذلك التزامن بين الانتخابات الرئاسية في أمريكا والبرلمانية في إسرائيل دلالة ارتباط أقوى مما كان عليه سابقاً بين ذلك المركز والفرع، علماً بأن السياسة الخارجية لإسرائيل والموجهة للانتخابات الرئاسية الأمريكية ستظهر للرأي العام العالمي وخاصة العربي والإسلامي بأنها هزمت في حساباتها جراء هزيمة المرشح الجمهوري رومني وذلك كتكتيك.. لأنها تدرك بأن الفائز بتلك الانتخابات هو أوباما، ولكنها تريد أن تظهر خلافاً لذلك لضمان تصويت ما يقارب سبعة ملايين مسلم في أمريكا، وكذلك استمرار تسويق السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ولاية أوباما كسياسة حريصة بالظاهر على انتعاش ونمو الحركات الإسلامية.

وبالتالي فإن متطلبات الاستراتيجية الصهيونية تقتضي فوز أوباما سواءً حصل على الأغلبية أو الأقلية، لأن تلك الاستراتيجية قائمة على تقديرات وحسابات سياسية وتحديداً إزاء الأوضاع بالشرق الأوسط وليست قائمة على المعايير الديمقراطية وعدد الناخبين، لذلك القول بتقارب حظوظ المرشحين للانتخابات الأمريكية ينطوي على جهل مركب إزاء الدور الفاعل للمجمع العسكري الأمريكي والذي يديره مئات الخبراء اليهود في تحديد النتيجة بعيداً عن تلك الحظوظ التي يتناقلها العرب عن واشنطن لحظة استقراء الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

وقد كان الأسبان بداية القرن الخامس عشر من هواة الاكتشافات عبر تنظيم رحلات بالبحار والمحيطات وكان المكتشف الأوروبي الأول لأرض الهنود الحمر أمريكا الجديدة كريستوفر كولمبوس وقد تلاه فيما بعد البحار الفرنسي أمريكو فسبوشي، وذلك عام ١٤٩٢م، ليعلن لأوروبا ما قد كان كولمبوس أنه اكتشف عالماً جديداً، لكن ذلك العالم بالتأكيد مملوك للسكان الأصليين أمة الهنود الحمر.

وخلال تلك الفترة بدأت أوروبا تنظيم رحلات نحو الأراضي الجديدة، وكان من الطبيعي أن تواجه بصعوبات أولئك السكان الأصليين الذين يعيشون حياة بدائية من ناحية ظروف نشأة وتكون الولايات المتحدة الأمريكية وامتداداتها عبر جزر مختلفة جعل منها الأوروبيون أثناء ذلك الاكتشاف ما يمكن وصفه بالولايات المتحدة وسط تدفق واضح للهجرات الأوروبية نحو تلك الأرض الجديدة.

وقد كانت دوافع تلك الهجرات إما لأسباب الاضطهاد السياسي الموجود في بعض البلدان الأوروبية أو نتيجة الأزمات الاقتصادية المتعاقبة في أوروبا وما أسفرت عنه من حروب مختلفة أو بحثا عن الثروة في الجزر المكتشفة وسط ما طرأ من تزايد السكان آخذين في التوسع سيما بالمناطق الغربية وكان من الطبيعي أن يعمل المهاجرون الجدد على انتزاع أراضي الهنود الحمر بالقوة، حيث تعرض معظمهم للطرد والإبادة الجماعية، وليس ذلك فحسب، ولكن ما يقارب ١٢٠ مليون هندي أحمر في ذمة التاريخ، بل أن ذلك الرقم ظل يتزايد حيث شنت الآلة الرأسمالية حرباً شعواء على أمة الهنود الحمر وأبادت منهم الملايين وحولت أراضيهم مع جثثهم إلى أراض محروقة كشرط أساسي لبناء الأرض الجديدة الموعودة.

خاصة بعد دخول مئات السفن البريطانية عبر البحار للسيطرة على أمريكا وسط ارتفاع مستوى الرحلات الأوروبية سيما من أسبانيا وفرنسا وهولندا وأنشأت بريطانيا ثلاث عشرة مستعمرة خاصة بين عامي ١٦٠٧م، ١٧٣٢م ووسعت في نطاق هجرة المستوطنين البريطانيين إلى أمريكا، حيث انقلب بعض الأوروبيين من غير الجنسيات البريطانية على السياسة البريطانية واجتمع مندوبو المستعمرات سيما عام ١٧٧٦م، وأعلنوا استقلالهم عن التاج البريطاني، فشنت أمريكاً حرباً على أولئك الذين أعلنوا استقلالهم عنها واستمرت تلك الحرب لفترة فعمدت بريطانيا لاحتواء نتائج تلك الحرب خاصة بعد معركة يورك تاون عمدت بريطانيا إلى تكثيف مواطنيها بتكرار الهجرات، تلى ذلك اعترافها باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية رسميا عام ١٧٨٣م وتم اختيار جورج واشنطن على رأس ذلك الاستقلال والذي يعتبر أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية تلى ذلك انسحاب بريطانيا واجتمع مندوبو الولايات بعد اعتراف بريطانيا باستقلال المستعمرات الثلاث عشرة في مؤتمر وطني عام ١٧٨٧م وشكلوا من خلال تلك الولايات نظام الحكم وأنشأ الدستور على اتحاد فيدرالي وإعلان الحكومة المركزية لذلك الاتحاد.

وبدأت تبرز مشاكل داخلية في مواجهة تلك الحكومة خاصة مع السكان الأصليين الذين تعرضوا كما اشرنا لإبادة جماعية وبدأ المهاجرون الجدد في إنشاء آلة الإنتاج داخل الأراضي الجديدة وتشييد المجتمعات الصناعية وما نتج عنها من صناعات للسلاح والسفن الحربية والتي اتجهت تحت دافع توسيع النشاط الصناعي والحصول على إياد عاملة ومواد خام لتفعيل تلك الصناعات وتطويرها نحو أفريقيا لتعود تلك السفن محملة بالآلاف من الأفارقة السود نقلت الراسمالية الصناعية ما يقارب ٣٠ مليون أفريقي وصلوا إلى أمريكا وبعضهم خلافاً لذلك الرقم يعني ما يقارب ٥٠ أفريقي للغرق في البحار والمحيطات لرفضهم التوجه إلى أمريكا.

وكان من الطبيعي أن تلجأ الرأسمالية إلى التهجير الانساني كبديل للسكان الأصليين الذين تم إبادتهم لأن الهجرة من افريقيا الى أمريكا كانت اجبارية ونتج عن ذلك مشكلة داخلية في الولايات المتحدة الأمريكية تمثلت بالتمييز العنصري بين البيض والسود، وذلك نتيجة للهجرات المختلفة سواءً كانت من دول جنوب شرق آسيا أو أوروبا ويعرف ذلك بالبيض خلافاً للمهجرين من افريقيا المعروفين بالسود فضلاً عن بقايا بعض الهنود الحمر لأن الإبادة لم تستكملهم بشكل نهائي إلا فيما بعد عندما سن الكونجرس الأمريكي عام ١٨٣٠م قانوناً قضى بترحيل الهنود الحمر قسراً.

وقد أدت مشكلة الرق والتمييز العنصري بين السكان المهاجرين من مختلف قارات العالم خاصة بالفترة من عام ١٨٦١م إلى ١٨٦٥م إلى اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية على إثر إعلان إحدى عشرة ولاية انفصالها عن الاتحاد الفيدرالي وتم إعادة تلك الولايات المنفصلة إلى الحكم المركزي على إثر الحرب التي جرت، وبرغم إعلان الرئيس السادس عشر ابرهام لينكون إلغاء الرق والتمييز العنصري في أمريكا عام ١٨٦٣م إلا أن ذلك الإعلان لم يحل دون وقف الحرب الأهلية التي اندلعت حينذاك بل أثرت على إبقاء تلك المشكلة وإن كانت الولايات المنفصلة قد عادت إلى الاتحاد إلا أن مشكلة الرق والتمييز ماتزال سمة بارزة في أمريكا.

فالسود لهم أماكنهم الخاصة وتجمعاتهم السكنية والبيض كذلك وما تبقى من الهنود الحمر ممن لم يتم إبادتهم أو ترحيلهم بحسب قانون الترحيل وهم شريحة واسعة من السكان يسمونهم بحسب تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم البدائية رعاة البقر بحسب التوصيف السياسي الذي لا يعيب الديمقراطية الأمريكية لأنهم شريحة كبيرة من السكان أفادوا بحسب استطلاعات للرأي بأنهم سيصوتون بالانتخابات الرئاسية للمرشح الجمهوري رومني.

وظلت أمريكا خلال العقود الثلاثة من القرن الثامن عشر منكفئة على ذاتها وعرضة للحروب الداخلية وتفاقم النزاعات والمشكلات الأهلية وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى بين عامي "١٩١٤م-١٩١٨م" لم يكن لأمريكا أي حضور في السياسة الدولية إلا بعد تلك الحرب بفترة تقدر بثلاثة عقود من الزمن كانت الرأسمالية خلالها قد استكملت سيطرتها على الأراضي الجديدة وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية دخلت أمريكا مسرح السياسة الدولية عام ١٩٤٥م من جريمتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين عندما ألقت أمريكا على تلك المدينتين القنبلة النووية.

حيث جرى في وقت سابق صناعة السلاح النووي الأمريكي على يد الخبراء واليهود المهاجرين من أوروبا وتحديداً المانيا وكانت عملية الراسمالية الصناعية تتماهى حذو النعل بالنعل مع الآلة الحربية مؤسسة بذلك التماهي الديمقراطية المعاصرة بدءاً من إبادة أمة الهنود الحمر وحتى غزو خليج الخنازير وقتل آلاف الصيادين الكوبيين فضلاً قبل ذلك عن غزو فيتنام، حيث كانت الآلة الحربية الأمريكية تقتل من الفتناميين يومياً ما يقارب ٤٠٠٠ مواطن فيتنامي مع اغفال غزو جرينادا ناهيك عن افغانستان والعراق وما نتج عن ذلك الغزو الأمريكي من خسائر بشرية ومادية كانت قبلها أمريكا قد نفذت حرباً مباشرة ضد الاتحاد اليوغسلافي وراح ضحيتها الآلاف من الغسلاف.

وهو ما يعني أن ذلك التاريخ سجل حافل بالمآسي لديمقراطية تزعم انها كذلك ولا تدخر جهدا أو وسعاً بأن تقيم الدنيا ولا تقعدها حيث أشبعتنا حديثاً بلا كلل ولا ملل عن الحقوق والحريات العامة فيما ينئ الشعب الفلسطيني تحت حراب الاحتلال الصهيوني، ذلك الشعب الذي افتقد أرضه وقتل مواطنيه وشرد الملايين شاهد عيان على عصر الديمقراطية المضطرب.